عظة الغراب

علّمتني جدّتي في صغري أن أكره الغراب . أولاً لسواده الشبيه بالحداد . وثانياً لتنعابه المنذر بالبين . وثالثاً لأنّه خان سيدنا نوحاً – عليه السلام – يوم أطلقه من الفُلك ليأتيه بخبر عن الطوفان فلم يرجع .

غير أني ما كرهت الغراب لسواده وتنعابه وخيانته قدر ما كرهته لأنّه – على زعم جدتي رحمها الله – شاء يوماً أن يقلد الحجل في مشيته فلم يحسن التقليد ونسي مشيته . فأصبح من ذلك اليوم يمشي بين جمز ونقل .

ما برح كرهي للغراب ينمو مع السنين إلى أن جمعتني ظروف غريبة بشيخ فلاسفة الغربان . وكان ذلك في يوم صيف تسعرت أنفاسه . فخرجت فيه إلى البرّيّة أقصد بلوطة قديمة أعرفها لأقيل في ظلّها . وما ان التصق جسمي بجسم الأرض وأحسست بلهاثها المنعش يتمشى في مفاصلي الذاوية حتى دخلت الطمأنينة قلبي فاحتلته . واخترقت هيبةُ السكينة معاقل فكري فاستسلم لها . فكنت كالطفل في حضن أمّه تهدهده فتنقله بتهاويدها من عالم إلى عالم .